Al-Mukhtar Journal of Social Science 42 (2): 364-386, 2024
Doi: https://doi.org/10.54172/tey80t54

Research Article

Open Access

التناسب في ختم الآيات بالأسماء الحسنى والصفات (دراسة بلاغية تطبيقية على سورة الحديد)

آمال موسى عبدالباري[1]*

الباحث الاول[1]*: اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.

المستخلص: إن القرآن الكريم كتابٌ معجزٌ في لفظه ومعناه، كلما وقف العلماء منه على جانب و ظنوا بأنهم بلغوا نهايته، تفتحت لهم جوانب كثيرة، وتبيّن لهم أنهم يقفون على شاطئه، لذلك في كل مرة يكتشفون وجوهاً جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ومن هذه الوجوه وأتمها هو الإعجاز البياني في كل كلمة من كلمات القرآن، بل وفي كل آية وسورة من آياته وسوره ، ومن أنواع هذا الإعجاز" التناسب في خواتيم الآيات" المنتهية بالسماء والصفات الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية، وقد تمّ توظيف المنهج التحليلي في هذه الدراسة بُغية الوصول إلى الهدف المراد، متخذة من سورة الحديد ميداناً للدراسة، والتي توصلت إلى عدد من النتائج منها: أن من أروع صور بلاغة القرآن ونظمه المعجز التناسب بين المعاني في خواتيم الآيات، حيث إنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما قبلها موطئةً لما بعدها وشاهدةً على أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير.

الكلمات المفتاحية: التناسب، خواتيم الآيات، الأسماء والصفات، الحديد.

***Corresponding author:**
Amal Musa Abdel-Bari
,amal.mouusa@omu.edu.ly
Arabic Language, Faculty of Art, Omar Al-Mukhtar University. Al-Bayda, Libya.

Received:
18-10-2024

Accepted:
27-11-2024

Publish online:
31-12-2024

Proportionality in ending the verses with the beautiful names and attributes, An applied rhetorical study on Surat Al-Hadid

Abstract: The Holy Qur'an is a miraculous book in its wording and meaning, and it is an overflowing spring. Whenever scholars stand on one side of it and think that they have reached its end, many aspects open up for them, and it becomes clear to them that they are standing on its shore. Therefore, every day scholars discover new faces of the miracles of the Holy Qur'an. The most complete of these aspects is the graphic miracle in every word of the Qur'an, indeed, in every verse and surah of His verses and surahs, and one of the types of this miracle is "the proportionality in the endings of the verses" and their relationship to the subject of the verse. The analytical method was employed in this study in order to reach the desired goal, taking Surat Al-Hadid as a field of study, Which reached a number of results, including: One of the most wonderful forms of the eloquence of the Qur'an and its miraculous organization is the proportionality between the meanings at the end of the verses, as they are closely linked to what came before them, providing a foundation for what comes after them and witnessing that this Qur'an is from the Wise and All-Knowing.

Keywords: Proportionality, endings of verses, names and attributes, Al-Hadid.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

إن التناسب هو من أسرار إعجاز القرآن الكريم، الذي بلغ من ترابط سوره، وتماسك كلماته وجمله وآياته مبلغاً لا يدانيه فيه كلام آخر، ومع أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، بل نزل نجوماً وآحاداً، على حسب الوقائع والأحوال في أكثر من عشرين سنة، إلا أنه كان محكم السرد متين الأسلوب، آخذٌ بعضه بأعناق بعض. وقد أكد العلماء على أهمية مصطلح التناسب ومكانته وفضله؛ لما فيه من إبراز وجوه إعجاز القرآن ليس فقط لفصاحة ألفاظه وشرف معانيه بل ترتيبه ونظم آياته وفهم مقاصده، وهذا هو موضوع البحث الذي سيتم إظهار ملامح وجماليات هذا المصطلح في خواتيم الآيات المختومة بأسماء الله الحسنى وصفاته، والحديث عن دوره المهم في إبراز المعنى ودلالاته، وقد استعمل البحث مصطلح التناسب بمفهومه المرتبط بالمعنى أي من مستواه التركيبي في الآيات المختومة بأسماء الله الحسنى، والتي لها علاقة بخواتيم الآيات وتحتاج منا إلى تفحص وتأمل وتدبر، وفي ذلك يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: " عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ومرتبط بها. وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجلِّ المعارف وأشرف العلوم"[1].

ويستمد هذا الموضوع أهميته من أهمية مادته والنص المختار للتطبيق عليه، وهو سورة من القرآن الكريم الذي ارتبطت به البلاغة ونشأت في رحاب تفسيره الذي أمده بمادة علمية ضخمة، كما أنه يتعلق بالوجه الذي تحدى الله به الخلق وهو الإعجاز البياني، وما دفعني لاختيار الموضوع الحرص على تنفيذ أمر الله– سبحانه وتعالى– في قوله:" كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيتَذَّكَرَ أُولُوا لألْبَابِ"(ص:29)، فالتدبر لفهم معاني القرآن، ومعانيه غير محصورة وله احتمالات كثيرة، ولذلك قال علي– رضي الله عنه– : إن القرآن حمّال كثير الوجوه، وفي كل زمان يفهم الناس منه ما لم يفهمه السابقون عليهم؛ لأن القرآن له زمانان: زمان التنزيل وزمن التأويل، فزمن التنزيل ينزل فيه معجزاً، وقد لا يفهم الناس كل مراماته، وزمن التأويل هو زمن وقوعه أي وقوع ما أخبر الله به. وقد قال ابن رواحه– رضي الله عنه– في تفسير قوله:" لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ"(الفتح:27)، قال:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّار عَنْ سَبِيله الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأويله

كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يزيلُ الهام عَن مَقِيله[2]

ذلك أنّ للآية وجهاً مرتبطاً بالحادثة أو الواقعة التي استدعَت نزولها ووجهاً آخر عامّاً، وتكون الآية بذلك دستوراً كلّياً يجري عليه المسلمون أبَدياً، وكما أنّ الآية عالجت بوجهها الخاصّ مشكلة حاضرة وقت نزولها؛ فإنّها بوجهها العامّ سوف تعالج مشاكل الأمّة على مَرّ الأيام.

أهداف الدراسة: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مصطلح التناسب من جهة المعنى في خواتيم الآيات المشتملة على أسماء الله الحسنى ودراسته دراسة تطبيقية في سورة الحديد.

الدّراسات السابقة:

لا شك أن كتب القدماء والمحدثين تناولت مصطلح التناسب وتحدثت عنه، ولكن وفي حدود علمي لم أطلع على دراسة مستقلة تحدثت عن مصطلح التناسب في خواتيم الآيات المشتملة على أسماء الله الحسنى من جوانب بلاغية، وتطبيقها على سورة الحديد، ومعظم الدراسات التي أقيمت حول المصطلح كان ميدانها في كتب تفسير القرآن، وبعضها الآخر خلطت بين مصطلح (التناسب) ومصطلح (الفاصلة)، ولكن هذين المصطلحين مختلفان، وإن كان بينهما علاقة فمن جهة أن كل فاصلة تناسب ولكن ليس كل تناسب فاصلة.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل الآيات التي وردت فيها بغية الكشف عن بلاغة التناسب بين خواتيم الآيات وما قبلها في السورة القرآنية.

الكلمة القرآنية وحسن اختيارها:

إن للمفردة القرآنية أهمية كبرى في البناء التعبيري ودوراً في استجلاء سمات الإعجاز القرآني، ومما لاشك فيه أن القرآن يتميز عن غيره من الكتب السماوية بإعجازه، وقد احتوى القرآن على أساليب وتعابير بلغت الذروة العليا من البلاغة والفصاحة والبيان في ألفاظه ومعانيه، وفي أهدافه ومقاصده، فألفاظ القرآن لها جمالها المتميز والمتناغم وتناسقها الكامل مع المعنى، بحيث تؤثر في المعنى وتؤدي هدفاً كبيراً لا يمكن تحقيقه بدونها أو بغيرها، ولو تدبرنا القرآن الكريم لوقفنا على مدى عناية القرآن الكريم باللفظة المستعملة فيه، فقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في بعض الدلالة، وقد يفضل كلمة على أخرى، وعن هذا المعنى يقول ابن الأثير:" ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل ويميل إليه، ويكره صوت الغراب وينفر منه ؟ والألفاظ على المجرى، فلفظ(المزنه) أو (الديمة) حسنة، يستلذها السمع، ومألوفة الاستعمال، فهي فصيحة، ولفظة (البعاق) يكرهها السمع، وهي نادرة الاستعمال، مع أن الألفاظ الثلاثة من صفات المطر ولذلك وجدنا العرب في عصورهم الأولى يقيمون وزناً للكلمة، ويجهدون أنفسهم في اختيار الكلمة والبحث عنها"[3]، ولذلك عرفوا بالفصاحة والبلاغة، ونزل القرآن بلسانهم فأعجزهم وتفوق عليهم، فجاءت الألفاظ الواردة فيه مختارة من بين مجموعة من الألفاظ، لا يمكن استبدالها بلفظة أخرى، وهي تتميز بالدقة في الوضع والدقة في الاختيار والدقة في الوصف والتناسق والمعنى، ولكل كلمة قيمتها البيانية، وذلك له أسراره يقول الدكتور: عبد الفتاح لا شين:" وهكذا نجد أن التعبير القرآني إذا وضع اسماً معرفة في مكان، أو نكرة في موضع؛ فإنما يكون ذلك لحكمة يعلمها الله وسر تقتضيه اللغة، وهدف يقصده في المعنى، ولو حاولنا وضع أحدهما مكان الآخر لاختلّ التناسق في الآية، وزال الانسجام المطلوب"[4] .

تناسب أواخر الآيات مع أولها:

إنّ من أهم الخصائص التي تميز القرآن عن كل كلامٍ بليغ أنه يجمع بين الوفاء بحق المعنى في أقل الألفاظ في أجمل التعابير، وأنه استمر على ذلك من أوله إلى آخره ، وتأتي خاتمة الآية والتي هي جزء منها جامعة بين محاسن

الصياغة وبلاغة المعنى، ولا يجوز أن يقال أن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة لتناسب نهاية الآيات وحدها، ولا لبلاغة المعنى وحده، بل الذي يليق بكماله أن يقال: إنه يختار ما يختار من ذلك؛ لأنه الأبلغ في موضعه، والأوفق في نسقه، وفي ذلك يقول الزركشي:" اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض"[5] .

وهنا لابد للبحث أن يفصل القول في تحديد معنى مصطلح (التناسب) أو مصطلح (المؤاخاة بين المعاني) كما يسميه بعضهم، فذكروا أن المؤاخاة بين المعاني هي الائتلاف أو التلفيق أو التناسب أو التوفيق أو مراعاة النظير، والتناسب: هو أن يُجمع في الكلام البليغ أمراً وما يناسبه لا مع ذكر التضاد لتخرج المطابقة، سواء أكانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنى لمعنى؛ إذ القصد جمع شيء الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه. وقال ابن معصوم المدني بعد تعريف مراعاة النظير:" ولا يخفى أنّ هذا التفسير يدخل فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف المعنى مع المعنى، وكل من هذه الأقسام عدّه أرباب البديعيات نوعاً برأسه ونظموا له شاهداً مستقلاً وجعلوه مغايراً لهذا النوع"[6]. وسمّاه ابن قيم الجوزية (المؤاخاة) وقال: "وهي على قسمين: الأوّل: المؤاخاة في المعاني. والثاني: المؤاخاة في الألفاظ. ويكون للكلام بها رونق؛ لأنّ النفس يعرض لها عند الشعور شيء يطلع إلى مناسبة فلا يرد إلا بعد تشوّف، ولا كذلك المباين، فلذلك يقبح ذكر الشيء مع مباينه في المعنى المذكور"[7]. وقال السّبكي:" هو أخصّ من الائتلاف، وهو أن تكون معاني الالفاظ متناسبة"، كقول ذي الرّمة:

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَس وَفِي الثَّنَايَا وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ

احترازاً عن مثل قول الكميت:

وَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا خوْداً منعّمةً بَيْضا تَكَامَلَ فِيْها الدّلّ والشّنَبَ

فذكر(الشنب) مع (الدل) غير مناسب. وقبح قول أبي تمام:

مُثَقَّفَاتٍ سَلَبْن العَرَبَ سُمْرَتَها وَالرّوْم زرْقَتَهَا وَالْعَاشِق القَصَفا

وكان ينبغي أن يقول: والعشاق قصفها، لكن منعه الوزن والقافية"[8].

والتناسب في اللغة: مصدر من تناسبَ يتناسب، تَنَاسُبًا، فهو مُتناسِب. ومادة النون والسين والباء تدور حول معنى اتصال شيء بشيء. و" النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب والنسيب وسمي لاتصاله وللاتصال به"[9]، وقد استخدم هذا المصطلح في أبواب مختلفة من علمي المعاني والبديع، كالمقابلة، ومراعاة النظير، وتشابه الأطراف وفي الفصل والوصل، وهكذا دار هذا المصطلح على ألسنة علماء البلاغة، حتى استقر واضحاً مستقلاً على يد ابن أبي الإصبع المصري حيث قال: "والمناسبة على ضربين مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ. فالمعنوية: أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ. وأما المناسبة اللفظية فهي: عبارة عن الإتيان بكلمات متزنات مقفاةٍ وغير مقفاّةٍ، وهي على ضربين: تامة وغير تامة"[10]، والذي يهمنا هنا هو النوع الأول من

أنواع التناسب، وهو التناسب بين المعاني والذي مفاده: أن يأتي المتكلم في آخر كلامه بمعنى يناسب الكلام الذي بدأ به معنى دون لفظ. فالتناسب يفيد الترابط بين الألفاظ وما تدل عليه من معان، ومن خلال التناسب تُعرف علل ترتيب أجزاء الكلام؛ لتحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال، وقد اعتنى العلماء به وأثنوا عليه أيّما ثناء حتى وصل الأمر بالإمام النيسابوري إلى أن يقول:" إن إعجاز القرآن لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره... وكأن القرآن كالكلمة الواحدة ترتيباً وتماسكاً"[11].

والتناسب بين المعاني مصطلح له شواهده من القرآن وغيره من أصناف الكلام البليغ، ولكنه في القرآن أبلغ، وقد أفاض علماء التفسير من أمثال الفخر الرازي و البقاعي والألوسي والمراغي والسعدي وابن عاشور وكذلك علماء الإعجاز البياني مثل الجرجاني والباقلاني والخطابي والرماني الحديث عن هذا المصطلح وأظهروا مزيته ومكانته، وبينوا أقسامه وقواعده، فتحدثوا عن التناسب بين السور وبين خواتيم السور وافتتاح السور التي تليها والتناسب في السورة الواحدة بين آياتها وبين أولها وآخرها، والتناسب بين آخر الآية وأولها وهو مدار هذا البحث وغايته. وفي ذلك يقول الزركشي:" اعلم من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض"[12]، فكل كلمة في القرآن الكريم تأتي متمكنة في موضعها ومستقرة في مكانها، ولو طرحت أو غيّرت لاختلّ المعنى وفسد النظم. ومن الظواهر الجديرة بالبحث في هذا الجانب قضيةُ التوظيف القرآني للتناسب بين المعاني في أواخر الآيات المختومة بالأسماء والصفات، ومن أعظمِ ظواهر هذا التوظيف ظاهرتان: ختم الآيات بالأسماء والصفات الإلهية، واقتران الأسماء والصفات مع بعضها في أواخر الآيات، ويلاحظ في القرآن الكريم أن كثيراً من الآيات تختم بالأسماء الحسنى، وقد تختم باسم من الأسماء الحسنى أو باسمين متجاورين. وكلها أسماء مدح دوالٍ على معانٍ، وصفها الله– سبحانه وتعالى– بأنها حسنى كلها، فقال: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (الأعراف:180)، فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالتها على أوصاف الكمال. والدارس لهذه الظاهرة يخرُجُ بفوائدَ جمة تظهر في جوانب كثيرة: عقَدية وشرعية ولُغَوية، ولبُّ هذه القضية أن الأسماءَ والصفات الإلهية لها آثار تقتضي وجودَها في الواقع؛ فرحمتُه تعالى تقتضي وجودَ مرحومين، ورزقُه يقتضي وجودَ مرزوقين، وهكذا سائر الأسماء والصفات، لكل صفةٍ أثرٌ تقتضيه، ولذلك فإن دلالة أسماء الله الحسنى في كتاب الله لفتة من لفتات إعجاز القرآن، وبالأخص ما جاء منها في خواتيم الآيات التي على وجه التحديد. وخاتمة الآيات عادة لها علاقة بالسورة وطبيعتها وموضوعها الرئيس ووحدتها الموضوعية، وغرضها وطبيعة السورة مكية أو مدنية، فكل سورة وكل كلمة وضعت في موضعها الذي لا تسد عنه أخرى حتى الحرف– كما قالوا– ولذلك ما يسمى بتناوب الحروف ليس بصحيح وغير وارد ذكره في القرآن الكريم، فكل حرف جيء به في مكانه الصحيح الذي يؤدي غرضه فيه، فكيف بالكلمة وكيف بالجملة وكيف بالآية، فالقرآن كله آخذ بعضه ببعض، وكله سلسلة متواصلة، وكل سورة فيه لها علاقة بالتي قبلها وبعدها، وكذلك الآيات منتظمة في مكانها على حسب ترتيبها

ومناسبتها وتناسقها، فمن روائع القرآن العجيب أن تنتظم مجموعة الآيات داخل السورة، والجمل داخل الآية والكلمات داخل الجملة والحروف في الكلمة، فهذا كله من إعجاز القرآن الكريم، ويدخل في ذلك خواتيم الآيات، التي ختمت بأسماء الله الحسنى، فختم هذه الآيات بهذه الأسماء لها عبر وأسباب ودلالات. ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ما ذكر عن الأصمعي أنه قال: كنت أقرأ:" والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "(المائدة:38)، قال: فقرأت (والله غفور رحيم) سهواً، وبجانبي أعرابي، فقال: كلام مَن هذا؟ قلت: كلامُ الله، قال: ليس هذا كلام الله. فانتبهتُ، فقرأتُ: (والله عزيز حكيم)، فقال: أصبتَ، هذا كلام الله. فقلت: أتقرؤ القرآن؟ قال: لا، قلتُ: من أين علمت؟ قال: يا هذا عَزَّ فَحَكَم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[13]. وذُكر أيضاً أن أعرابياً لم يكن يقرأ القرآن سمع قارئاً يقرأ: " فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "(البقرة:209)، فأبدله بأن قال: (فأعلموا بأن الله غفور رحيم)، فقال الأعرابي: إن كان هذا كلام الله فلا يقول: كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه[14] ، وهذا جواب ودليل على أن أواخر الآيات لها أغراضها ودلالاتها.

وكما نعلم ليس كل أواخر آيات القرآن الكريم تختتم بأسماء الله الحسنى، وقد عدد الباحثون خواتيم الآيات التي تنتهي بأسماء الله الحسنى، وذكروا بأنها 500 آية من 6236 آية من الذكر الحكيم، أي أننا نتحدث عن واحد من اثنى عشر تقريباً من الآيات تختم بالأسماء والصفات[15]، و يعني ذلك أن كل اثنتا عشرة آية من القرآن الكريم تختتم واحده فقط بأسماء الله الحسنى وأحياناً شبيهة بها من مثل قوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"(الحجرات:18)، وهي وإن لم تعد من الآيات التي تنتهي صراحة بأسماء الله الحسنى، ولكنها في العموم تدل على اسم من أسماء الله الحسنى وهو البصير.

ومعرفة دلالات هذه الأسماء ومعانيها وأغراضها في مواضعها تعين على تدبر القرآن الكريم، ولو استطعنا أن نتدبرها فهذا يقودنا إلى تعظيم كلام الله. ولابد من الإشارة هنا إلى أنه من النادر أن يرد اسم من أسماء الله الحسنى أثناء الآيات، وإنما ترد في خواتمها ما عدا اسماً واحداً فقط، وهو ما يعدّ ظاهرة وهذا الاسم هو اسم الله (الرحمن)، فقد ورد سبع وخمسون مرة في القرآن ومن هذا العدد ورد هذا الاسم ست مرات تقريبًا أثناء الآيات القرآنية، ولم يأت اسم من أسماء الله الحسنى أثناء الآية بهذه الكثرة إلا اسم الله (الرحمن)، أما غيره من الأسماء فقد رأى الباحثون أن اسم الله (الحي القيوم) ورد مرة واحدة أثناء الآية، وكذلك الأسماء التي وردت في آخر الآيتين من آيات سوره الحشر، والتي ذكرت فيها طائفة من أسماء الله الحسنى[16] وهذا ما يدعو إلى التدبر، ولنأخذ مثلا سورة الحجرات، والتي يسميها العلماء بـ(سورة الآداب) ونستشهد بقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ"(الحجرات:12)، وهنا يُثار تساؤل وهو لماذا ختمت بتواب رحيم؟ فـ(تواب) كثير التوبة وكلمة تواب وتوبة لها علاقة بسياق الآية، ويقال أن التوبة تكون من بعد الذنب أي ذنوب الكبائر، وهذا يعني إذا ما وجد توّاب في سياق أي آية من آيات القرآن الكريم؛ فإنه

يشير إلى الذنوب الكبيرة، ومعنى الآية: أنهم يستغفرون من بعد الظن والغيبة، ولكن إذا كان الظن والغيبة من الذنوب الكبيرة، وأن المسلم إذا فعلها فهل هذا يعني أن باب التوبة مغلقاً؟ الجواب لا، حتى أنه قيل في سياق الآية (توّاب) ولم يقل (يتوب) فتوّاب تعني الإكثار من الذنوب وعقد العزم على التوبة منها، وكذلك اسم الله (الرحيم) والذي يدل على أن هذا الدين دين رحمة[17].

إنَّ المتتبع للآيات القرآنية الشريفة المختومة بأسماء الله الحسنى يتضح له بجلاء ما لهذه الأسماء الشريفة من معانٍ عظيمة مرتبطة بمعنى السياق القرآني الواردة فيه، فهي تنساب انسياباً طبيعياً حسبما تطلبه المعاني، فتتماسك في مواضعها التي هيئت لها، مما يكسبها إحكاما دلالياً قوياً لا يُتصور معه أن يصلح اسمٌ مكان غيره مع احتماله لدلالة الآخر وأثره في الآية. ومن مظاهر دلالة أسماء الله الحسنى وصفاته في القرآن الكريم و وردها في آخر الآيات، أن هذه الآيات في مواضع تختم باسم واحد من هذه الأسماء. ومثال ذلك قوله تعالى: "يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(البقرة:20)، فقوله:(إن الله على كل شيء قدير) ختمت به الآية، ومعنى (القدير) التام القدرة لا يلابس قدرته عجزاً بوجه، وقد ناسب مجيء (قدير) مع ما ذكر في الآية من تصوير لحال المعاندين، وما يصيبهم من شدة الهول؛ لكفرهم وعنادهم، والوعيد لهم بأنه سبحانه لو شاء لأذهب عنهم سمعهم وبصرهم عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم، فهو قدير على الأشياء كلها[18]. فكان ذلك تمهيداً لذكر قدرة الله في ختام الآية. كما أنه قد يجتمع اسمان من الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات، وهو أكثر وقوعاً من التعقيب باسم واحد، وفي مثل هكذا مقام يكون لاجتماعهما جمالاً معنوياً خاصاً، وإحكاماً دلالياً بديعاً، إذ يعطي اجتماعها إيحاءات دلالية جليلة مستوحاة من دلالة الاسمين الشريفين. وتتنوع التعقيبات من آية الى أخرى تبعاً لاختلاف معانيها وما يرتبط بها من دلالات تناسب ما تتضمنه الآية، من ذلك ما ختم بـ(الغفور الرحيم)، وفي ورود هذين الاسمين مجتمعين طمأنينةً للنفس الإنسانية التواقة لنيل غفران الله ورحمته في الدنيا والآخرة، ومعنى (الغفور) هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته. و(الرحيم) المثيب على العمل فلا يضيع لعامل عملاً ولا يهدر لساعٍ سعياً، ويُنيله بفضل رحمته من الثواب أضعاف عمله[19]. وقد كان لهذين الاسمين ترابط بين ورودهما في خاتمة بعض الآيات القرآنية وسياق الآية التي وردا فيه، ومن ذلك ما ختم بـ(العزيز الحكيم) في مثل قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"(البقرة:208، 209)، ولم يقل في آخر الآية:(غفور رحيم) مع أنه ذكر(الزلل)، ولكنه بيّن وحذّر في سياق الآية وهي واضحة، فلو لم يكن البيان والتحذير واضح فالزلل جاء من بعد ما جاءت الآيات، فـ(عزيز) فيه الرهبة والحكمة، وغالباً ما تأتي حكيم مع الأحكام فالعزة تعني تربية مهابة من الله ، وهو مثل اسم الله (القوي)، فقوله: (عزيز) تدل على أنهم زلّوا مع علمهم بالخطأ الذي ارتكبوه ووقعوا فيه[20] ، وهذا لا يعني إغلاق باب التوبة ولكنه يريد أن يعزز سبحانه وتعالى، وفي ذلك دلالة تفيد التربية على مهابته عزّ وجل، فلو كان أسلوب الترغيب

هو الطاغي في آيات الذكر الحكيم؛ سيطمع الناس في رحمته، ولكنه لابد من الترغيب والترهيب. وقد وصف الحق– جل جلاله– نفسه بقوله:" نَبِّئْ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ وَأَنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأَليمُ" (الحجر:49،50)، ومما يدل على تناسب نهاية الآية المختومة بالأسماء والصفات مع ما تقدمها قوله تعالى:" وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "(البقرة:224)، وفي مواضع أخرى من الذكر الحكيم يأتي (سميع)مع (بصير)؛ فإذا ورد اسم الله (السميع) فإن ذلك يدل على أنه في سياق كلام وإذا كان المذكور هو اسم الله (العليم)؛ فإنه يدل على أن هناك أفعال، وعليم قد لا يكون فيه فعل بالضرورة ولكنه عبر عن العلم الذي يضم(السمع والبصر)، وما هو في النفس. ولننظر في قوله تعالى:" لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ"(البقرة:225)، فمن المعتاد أن يقترن اسم الله (الغفور) بـ(الرحيم)، ولكن هنا جاءت كلمة (حليم) بعد (غفور)، وتعد هذه من المواضع التي تختتم فيها الآيات بأسماء الله الحسنى على غير المألوف، فالمألوف أن يأتي (غفور) مع (رحيم)، لكنه أحياناً تأتي كلمة (غفور) مع (حليم)، وهنا لابد من الإشارة إلى أن (الغفور) و(الرحيم) وردا متجاورين في الذكر الحكيم أربع وستون مرة منها ثلاث وستون مرة ذكرت كلمة (رحيم) بعد (غفور)، ومرة واحدة تقدمت فيها كلمة(رحيم) على كلمة(غفور)، وقد كان ذلك في قوله تعالى:" يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ "(سبأ:2)، فعند وجود مظهر من مظاهر الرحمة يتم تقديم الرحمة على المغفرة. وفي الآية التي جاءت فيها كلمة (حليم) مع كلمه (غفور) دلّ على أن العفو عند المقدرة؛ فكأنهم فعلوا شنيعاً والله لا يريد أن يعاجلهم بالعقوبة، فقال: (غفور حليم)، فـ(غفور) كثير المغفرة وهذا يدلّ على أن هذه الأفعال منهم قد لا تصل إلى درجة الكبائر، فدلالة (الحليم)هنا تدل على أن فعلهم هذا يستوجب الغضب ولكن الله لم يعاجلهم بالعقوبة، وهذه الصفة لا يقدر الناس– أي مخلوقاته– على فعلها، فهي صفات بسيطة ولكن لا يستطيعها كل الناس وحشاه –سبحانه وتعالى– ولله المثل الأعلى، فالله هنا وبدلالة كلمة (حليم) كأنه يقول: هذا الأمر يستوجب تعجيل العقوبة ولكنه يؤخرها، وهذا تنبيه لهم من أن يستمرئوا ويتعودوا على مثل هذه الذنوب فتعاجلهم العقوبة. وقد تأتي في بعض المواضع من الذكر الحكيم ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى متجاورة، وتذكر بوجود لفظ الجلالة. مثال ذلك قوله تعالى:" فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"(البقرة:182)، وأحياناً بالضمير ومثاله قوله تعالى:" وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"(يونس:107)، وهنا جاء الضمير عائد على لفظ الجلالة الله.

ويتضح لنا بعد هذه الشواهد من الآيات القرآنية الكريمة وشواهد أخرى لا يتسع المقام لذكرها جميعاً، أن ورود أسماء الله الحسنى مفردة ومقترنة في خواتيم الآيات يعدّ ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة، فيها إحكام وتناسب دلالي بديع، وذلك لما تدل عليه هذه الأسماء الحسان من معان عظيمة. ووروردها لم يكن ورود عابثاً، وإنما وردت لمعان جليلة وغايات نبيلة، وقد جاءت متناغمة بشكل عجيب مع سياق الآيات، فهي تتغير وتتنوع حسبما تحمل من دلالات وبما

يتناسب مع معنى الآية ومقصودها، وما تضمنته من أحكام وتشريعات، فتزيد المعنى وضوحاً وبياناً وتمنح العبارة تأكيداً أو تقريراً. وقد تكون للتنبيه أو التذكير أو ترغيب أو ترهيب. مع وفائها بحق المعنى الذي ترد فيه.

وقد أشار الباحثون في هذا الباب إلى أن أسماء الله الحسنى والتي جاءت في خواتيم الآيات قد غلبت في القسم المدني من القرآن الكريم، ووردت بكثرة في السور التي بها أحكام[21]، وتعد سورة النساء من أكثر سور القرآن التي وردت فيها أسماء الله الحسنى، فعدد آيات هذه السورة مائة وست وسبعون آية وقد ختمت آياتها بأسماء الله الحسنى في سبع وخمسين آية. ومثال ختم الآيات بأسماء الله الحسنى بعد الأحكام قوله تعالى:" وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ"(النور:8– 10)، فبعد ذكر الأحكام أي العقوبات والحدود جاء في آخر الآيات اسمان من أسماء الله الحسنى، وهنا نكتة لابد من توضيحها، وهي أن اسم الله (التوّاب) كثيراً ما يتجاور في القرآن مع اسم الله (الرحيم)، ولكن السياق في الآيات السابقة خالف المألوف فجاء بعده (الحكيم)؛ لأن (التواب) تأتي بعد ذكر الذنوب الكبيرة وجاءت بعدها كلمة (حكيم)؛ لتدل على أن الحكمة من هذه الأحكام التي شرّعها الله –عز وجل– ايّاك أيّها العبد أن تشك فيها، فقد جاءت في مكانها المناسب ومقدارها المناسب الذي شرّعه الله عز وجل، وقد خاض المشككون في الدين الإسلامي في مسألة العقوبات، وأن العقوبات ليست دقيقة وكذلك ليست صحيحة، فدلت خاتمة الآيات على أن الله هو الحكيم؛ ليطمئن القلب ولا يكون شيء في هذا الكون إلا وفق علمه ومشيئته وحكمته.

وأسماء الله الحسنى الواردة في خواتيم الآيات سواء وردت منفردة أم مقترنة لها من الدلالات والحكم العظيمة والفوائد الجليلة والمنافع الكبيرة ما يدلّ على كمال الرب– سبحانه وتعالى– مع حسن الثناء وكمال التمجيد، إذ كل اسم من أسمائه متضمن صفة كمال من صفاته، فإذا اقترن باسم آخر كان له سبحانه ثناء من كل اسم منهما باعتبار انفراده، وثناء من اجتماعهما، وذلك قدر زائد على مفرديهما. وأمثلة ذلك أنه كثيراً ما يرد في القرآن الكريم (العزيز الحكيم) مقترنين، فيكون كل منهما دال على كمال الخاص الذي يدلّ عليه وهو العزة في (العزيز) والحكم والحكمة في (الحكيم)، والجمع بينهما دليل على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً، كما يكون من المخلوقين؛ فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم، فيظلم ويجور ويسيء التصرف. وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعزِّ الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل، كما تكرر في القرآن اقتران (الغني بالحميد) والغني صفة كمال والحمد صفة كمال وكذلك اجتماعهما كمال آخر، فله ثناء من غناه وله ثناء من حمده وثناء من اجتماعهما، فمثلاً من شكر الله على نعمائه وحمده سبحانه على فضله وعطائه؛ فإنه سبحانه أهل الحمد والثناء وله الحمد كله في الأولى والآخرة، وحمد الحامدين وشكر الشاكرين لا يزيد ملكه شيئاً فهو سبحانه الغني، فلا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضرّه معصية من عصاه، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:" وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ"(لقمان:12)، إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت فيها الأسماء والصفات مقترنة ولها دلالات داخل سياقها الذي

وردت فيه. وصفات الله–عزّو جل– وصف نفسه بها وهي تليق بكماله وجلاله، ولا تشبه صفات المخلوقين وإن كان هناك تشابه في الظاهر أو في الاسم فهذا تشابه مع الفارق، فمثلاً وصف الله– سبحانه وتعالى– نفسه بأنه (العليم)، والإنسان قد يكون عنده علم ولكن علم الإنسان بقدر ضعفه وعلم الله– عز وجل– لا حدود له؛ لأنه سبحانه واهب العلوم. إلى غير ذلك من شرح للصفات الأخرى، فكما أن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات، و(المجيد) هو الكامل في كل شيء، ولذلك تسمى أسماء الله (الحميد والمجيد والعظيم والكبير) بالأسماء الجامعة الشاملة، فهي تشمل أسماء كثيرة. فهو سبحانه وتعالى مجيد في جميع صفاته، وحميد في جميع صفاته وكبير في جميع صفاته سبحانه وتعالى الصمد، وهذه ما تسمى بالصفات الجامعة، كما أن صفات الله وأسمائه وأفعاله نحن لا نعلم شيئاً عنها إلا ما أخبرنا بها عن نفسه جلّ في علاه، فالله سبحانه وتعالى بالنسبة لنا غيب لا نعلم ولا نعرف عنه شيئاً، وما نعرفه عن الله هو ما ذكره لنا سبحانه عن نفسه في القرآن الكريم، وما ذكره لنا رسوله عنه في السنة المطهرة الصحيحة[22]. إذن فأسماء الله لا يجوز للعبد أن يخترع له اسماً من عنده، ولا يجوز له ان يخترع له فعلاً من عنده، ولا يجوز لنا أن نسميه سبحانه وتعالى ونصفه إلا بتلك الأفعال والأسماء والصفات التي أخبرنا بها– سبحانه وتعالى– عن نفسه بأنها له جل في علاه يتصف بها ويفعلها.

التناسب في سورة الحديد:

اسم السورة: سميت بسورة (الحديد) لوقوع لفظ (الحديد) فيها في قوله تعالى:" وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ" (الحديد:25). ويقول ابن عاشور في ذلك:" إن هذا اللفظ وإن ذكر في سورة الكهف في قوله تعالى:" آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيْد"(الكهف:69). وهي سابقة في النزول على سورة الحديد على المختار، ولكن لم تسمَّ به؛ لأنها سميت باسم الكهف؛ للاعتناء بقصة أهل الكهف، ولأن الحديد الذي ذُكِرَ هنا مراد به حديد السلاح من سيوف ودروع وخوذ تنويهاً به، إذ هو أثر من آثار حكمة الله في خلق مادته، وإلهام الناس لصنعه؛ لتحصل به منافع لتأييد الدين ودفع المعتدين، قال تعالى: " وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" (الحديد:25). وسورة الحديد مَدَنيَّةٌ، وحُكِيَ عن بعضِ المفسِّرينَ الإجماعُ على ذلك؛ لذا فإنّ خصائصها هي خصائص السور المدنية نفسها[23]، فهي إضافة إلى تحكيم الضوابط العقائدية، فإنّها تستعرض تعليمات عملية عديدة.

مناسبة نزول السورة ومقاصدها:

بعد أن قامت دعائم الدولة الإسلامية في المدينة النبوية كان من الضروري أن تقوى هذه الدعائم وتعزز، فجاءت هذه السورة لتقوي هذه الدعائم وذلك بالتأكيد على قضية الإيمان بالله والرسول– صلى الله عليه وسلم– والإنفاق في سبيل الله، والتصدّي لكيد المنافقين، وبيّنت كيف يحافظ المسلمون على هذه الدعائم من كيد الكائدين، حيث أمر الله– سبحانه تعالى– بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل والدوام والثبات على ذلك. وهي تدل في آياتها على أنه علينا التوازن بين الإيمان والعمل، وتحدثت السورة عن نوعين من الناس: الماديين الذي أخذتهم الحياة وخاطبهم الله

تعالى بقوله: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد :16)، وتكلمت على الذين عاشوا في روحانية مطلقة وخاطبهم الله تعالى بقوله: "ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ"(الحديد: 27)، و جميعهم لم يستطيعوا أن يُكملوا حمل الرسالة والمنهج. وجاءت الآية بعد خطاب الماديين "اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(الحديد:17)، فالله– سبحانه وتعالى– القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي القلوب التي في الصدور، فالسورة تقول مخاطبة أمة الرسول عليه الصلاة والسلام: أنتم لا ماديين كبني إسرائيل ولا متفرغين للروحانية كالنصارى، ولكنكم متوازنون بين الاثنين. وفي السورة آية محورية وهي قوله تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ"(آية: 25)، فقوله: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات): تدل على الروحانية، و قوله: (أنزلنا الحديد): تدل على الماديّة. وفي قوله: (وليعلم الله من ينصره) إشارة إلى استعمال الحديد في الصناعات وعدة الحروب والغواصات والمدافع والسيوف والرماح. فهذه الآية تدعو أمة الرسول– صلى الله عليه وسلم– إلى التوازن فالكون كله متوازن، ولذا بدأت السورة بعرض كل المتضادات في الكون وكل ما فيه متوازن بأمر الله تعالى.

وقد تحدثت السورة في أولها عن أن الله– سبحانه و تعالى– تَدِين له المخلوقات جميعاً، وتسبح بحمده، وتنطق بلسان الحال أو بلسان المقال بعظمته وجلاله، وذكرت السورة بعضاً من أسمائه التي تدل على تفرده وتوحده، فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، وأنه الظاهر بقدرته وآثاره، الباطن الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وأنه له ملك السماوات والأرض خَلْقاً وإبداعاً، وأنه العليم بكل ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يَعْرُج فيها، وأن الأمور كلها راجعة إليه وحده، وهو الآمر بالإيمان بوجوده، وبما جاء به رسوله– صلى الله عليه وسلم–وما أنزل عليه من الآيات البينات، ودعت إلى التنبيه لما في القرآن من الهدي وسبيل النجاة، والتذكير برحمة الله ورأفته بخلقه، وحثت على الإنفاق في سبيل الله، وأن المال عَرَضٌ زائل، لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفق منه في مرضاة الله، وتعرضت السورة لذكر فريقين: فريق الجنة، وفريق السعير؛ فأما الفريق الأول: وهو فريق المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيدخلون الجنة. وأما الفريق الثاني: فهو فريق المنافقين والمنافقات الذين لا نور لهم، ويحال بينهم وبين نور المؤمنين، فلا يستطيعون اللحاق بهم، ويُسخر منهم، فيقال لهم: ارجعوا وراءكم، أي ارجعوا إلى الدنيا فلا يستطيعون الرجوع إليها ليعملوا بعمل المؤمنين حتى يلحقوا بهم. كما تحذر السورة المسلمين من الوقوع في هاوية قساوة القلوب، التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم من إهمال ما جاءهم من الهدى حتى قست قلوبهم، وجر ذلك الكثير منهم إلى الفسوق. وقد مثلت الآيات الكريمة الدنيا وما فيها من متاع زائل ولهو ولعب والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد، و

شبّهتهم الآيات بالزرع الذي سقاه المطر الوابل، حتى نَضَرَ وأينع، وأُعْجِبَ به الزرّاع، ثم أصابه الذبول والضمور، فصار هشيماً تذروه الرياح، وكذلك أمر الدنيا تتزين وتأخذ زخرفها، حتى يظن أهلها أنهم قادرون عليها فيأتيها أمر الله ليلاً أو نهاراً بالفناء، فتصير كالزرع المحصود الذي لم يكن موجوداً بالأمس. وأشارت السورة إلى فضل الجهاد في سبيل الله، كما بينت تشابه رسالة الرسول– صلى الله عليه وسلم– برسالة نوح وإبراهيم– عليهما السلام– على أن في ذريتهما مهتدين وفاسقين. وأن الله أتبعهما برسل آخرين، منهم عيسى– عليه السلام– الذي كان آخر رسول أُرسل بشرع قبل الإسلام، وأن أتباعه كانوا على سُنَّة من سبقهم، منهم مؤمن ومنهم كافر. كما حثَّت الآيات الكريمة المسلمين على أن يخلصوا الإيمان لله سبحانه، وأن يتبعوا ما جاءهم به رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ووعدتهم بحُسن العاقبة، وأن الله فضلهم على الأمم؛ لأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[24].

تناسب فواتح سورة الحديد مع خواتيم سورة الواقعة:

خُتمت سورة الواقعة– وهي قبل سورة الحديد– بطلب التسبيح والتنزيه لله، قال تعالى:" فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ" (الواقعة:96)، وهذه السورة بُدئت بالتسبيح، قال سبحانه:" سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(الحديد:1)، فكان أول سورة الحديد واقع موقع التعليل لما في آخر سورة الواقعة، فكأنه قيل: (فسبح باسم ربك العظيم)؛ لأنه(سبح لله ما في السماوات والأرض).

تناسب خواتيم سورة الحديد مع فواتح سورة المجادلة:

جاء في آخر سورة الحديد:(لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)، فالفضل بيد الله ونلاحظ في أول سورة المجادلة أنه تعالى سمع للمرأة التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله، قال تعالى:" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"(المجادلة:1)، فالله سبحانه وتعالى الذي سمع للمرأة(وهي خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس بن الصامت) أليس هذا من فضل الله بهذه المرأة التي سمعها من فوق سبع سموات وحفظها من الضياع، وحفظ المسلمين من أمثال هذه الحادثة؟ هذا أمر والأمر الآخر أنه ذكر في سورة الحديد (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا"(آية:27)، وحالة الظهار والتي جاء ذكرها في سورة المجادلة هي من الأمور المبتدعة التي لم يكتبها الله تعالى، والتي وردت في قوله تعالى:" الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ"(المجادلة:2)، والظهار يعني أن يقول الرجل لزوجته أنت عليّ كظهر أمي فتحرُم عليه، أليس هذه من المبتدعات "وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا"، والرهبانية التي ابتدعوها" وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ" هذا ابتداع وهذا ابتداع، فكلاهما بدعة[25].

التناسب بين الآيات التي تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية:

إنّ أوّل آيـة مـن هـذه السـورة بـدأت بتسـبيح وتنزيـه الله– عـزّ وجـلّ– حيـث يقـول سـبحانه:" سَبَّحَ لِلَّـهِ مَـا فِـي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(آية: 1)، وحقيقة التسبيح عبارة عن نفي كلّ عيب ونقص فالتسبيح في الأصل من مادّة (سبح) بمعنى الحركة السريعة في الماء والهواء. والتسبيح أيضاً هو الحركة السريعة في مسير عبادة الله– عزّ وجلّ– وشهادة جميع الكائنات في هذا العالم بطهارة ذاته من كلّ عيب، حيث أنّ النظم والحساب والحكمة والعجائب في نظام الكائنات جميعها تَذْكر(الله) بلسان حالها وتسبّحه وتحمده وتنزّهه وتؤكّد أنّ لخالقها قدرة لا متناهية، وحكمة لا محدودة، ولذا جاء في نهاية هذه الآية: (وهو العزيز الحكيم)، كما يحتمل أن تتمتّع جميع ذرّات الوجود بنوع من الإدراك والشعور بحيث تسبّح وتحمد الله– عزّو جلّ– في عالمها الخاصّ، على الرغم من عدم معرفتنا لذلك بسبب محدودية علمنا واطّلاعنا.

ويجدر الانتباه إلى أنّ (ما) في جملة (سبّح لله ما في السماوات) لها معنى واسع، بحيث تشمل كلّ موجودات العالم الذي هو أعمّ من ذوي العقول والأحياء والجمادات، على الرغم من أنّ (سبّح) فعل متعدٍّ بدون حرف جرّ حيث يُقال مثلاً سبّحوه إلاّ أنّه هنا قد عُدي باللام، ومن المحتمل أن يكون ذلك للتأكيد. وتنتهي الآية بذكر صفتين هما (العزيز والحكيم) والعزيز في اللغة: هو الغالب الممتنع، أما الحكيم فله دلالتان إما أن تكون من الحُكم أو من الحِكمة. فالحكيم لها أكثر من دلالة لكن هنا فيها دلالتين وهما:(حكيم) من الحُكم و(حكيم) من الحِكمة، ويُجمع المعنيين للتوسع في المعنى؛ لأنه أحياناً في اللغة تأتي الكلمة الواحدة في موضعٍ، ويُراد كل معانيها التي تحتملها في آن واحد وهذا ما يسمى بالتوسع في المعنى، ففي جملة واحدة تحمل الكلمة المذكورة كل دلالاتها اللغوية. و هذا الجمع بين صفتي (العزيز والحكيم) أبلغ جمع: فالعزيز قد يكون حكيماً وقد لا يكون حكيماً، وقد يكون حاكماً وقد لا يكون حاكماً، فالحاكم هو منتهى العزة و صار كمال العزة بالحكم أعزّ شيء. وإذا كان العزيز متهوراً تكون عزّته صفة ذم، فإذن ينبغي أن يتمم بالحكمة. فالله– سبحانه و تعالى– هو العزيز الحكيم والحاكم الحكيم، كمُل في العزة بالحُكم فكان أعلى شيء لأن منتهى العزة أن يكون حاكماً وأكمل الكمال عندما كان عزيزاً فهو حكيم وعندما كان حكيماً فهو حكيم. إذن اجتمعت العزة والحكم والحكمة، وقُدّم العزيز على الحكيم لأنه عزّ فحكم[26]. وبعد ذكر هاتين الصفتين من صفات الذات الإلهية أي: (العزّة والحكمة) يتطرّق في الآية الثانية إلى (مالكيّته وتدبيره، وقدرته في عالم الوجود) والتي هي من مستلزمات القدرة والحكمة، حيث يقول تعالى:" لَـهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَـى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ "(آيـة: 2)، فهو قدير على كل شيء. وهنا ذكر: (قدير) ولم يذكر:(قادر)، مع أنه استخدم قادر في مواطن أخرى من القرآن؛ وعلة ذلك أن(قدير) من صيغ المبالغة على وزن(فعيل)، فإذا عمّم أو أطلق يستعمل المبالغة، أي إذا قال (على كل شيء) يستخدم (قدير) وإذا قيّدها بشيء يقول (قادر)، وقد وردت في قوله تعالى:" وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ" (الأنعام: 37). ومالكية الله– عزّو جلّ– لعالم الوجود ليست مالكية اعتبارية وتشريعية، إذ أنّها مالكية حقيقيّة وتكوينيّة. وهذا يعني أنّ الله سبحانه محيط بكلّ شيء، وأنّ جميع العالم في قبضته وقدرته وتحت إرادته

وأوامره، لذا فقد جاء الحديث بعد هذا الكلام عن(الإحياء والإفناء) والقدرة على كلّ شيء. و تجدر الإشارة هنا إلى الاختلاف بين (العزّة) و(القدرة)، وهو أنّ(العزّة) أكثر دلالة على تحطيم المقابل و(القدرة) تعني توفير الأسباب وإيجادها. وبناءً على هذا فإنّهما يُعدّان وصفين مختلفين على الرغم من أنّهما مشتركان في أصل القدرة. ويُلاحظ هنا أنّ جملة (يحيي ويميت) جاءت بصورة فعل مضارع ممّا يدلّل على استمرار مسألة الحياة والموت على طول الأزمنة، وإطلاق هذين المعنيين لا يشمل حياة وموت الإنسان في هذا العالم فقط، بل يشمل كلّ حياة وممات لكل مخلوقاته، كما أنّها لا تقتصر على الحياة الدنيا فقط، بل تشمل حياة البرزخ والقيامة أيضاً، فالموت والحياة بكلّ أشكالهما يمثلان القدرة الإلهية المتعالية.

وفي قوله تعالى:" هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "(آية: 3). ذكرت خمس صفات أُخرى، وذيّلت الآية بصفة (العليم)، فالوصف هنا بـ(الأوّل والآخر) تعبير رائع عن أزليّته وأبديّته تعالى؛ لأنّنا نعلم أنّه وجود لا متناهي وأنّه (واجب الوجود) أي أنّ وجوده من نفس ذاته، وليس خارجاً عنه حتّى تكون له بداية ونهاية، وبناءً على هذا فإنّه كان من الأزل وسيبقى إلى الأبد، والتعبير بـ(الأوّل والآخر) يفيد بأنّه ليس له زمان خاصّ أبداً، وليس فيه إشارة إلى مدّة زمنية معيّنة، و كذلك الوصف بـ(الظاهر والباطن) هو تعبير آخر عن الإحاطة الوجودية. أي وجود الله بالنسبة لجميع الموجودات، أي أنّه أظهر من كلّ شيء لأنّ آثاره شملت جميع مخلوقاته في كلّ مكان، وهو خفيّ أكثر من كلّ شيء أيضاً؛ لأنّ كنه ذاته لم يتّضح لأحد. ولقد عبّر بعض المفسّرين عن ذلك بأنّه سبحانه وتعالى: الأوّل بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، والظاهر بلا اقتراب، والباطن بلا احتجاب[27]. ولم ترد هذه الصفات في الآية بدون(ال) التعريف، فلم يقل: هو أول وآخر وظاهر وباطن، وإنما قال: "هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ" بالتعريف؛ لأن التعريف هو للقصر أي أنه لا يشاركه في هذه الصفات أحد، ولو قال: هو(أول) يحتمل أن يشاركه أحد، وهنا أمران: أما (الأول) فهي حصر، تحديداً و(الآخر) تحديداً و(الظاهر) و(الباطن) كذلك. والأمر الآخر أن هذه الصفات لم تقيّد بشيء لا بإضافة ولا وصف فلم يقل مثلاً: هو أول الحكماء، أول الأغنياء، الأول في كذا وبعد ذلك تتقيد الأولية بما أضاف أو بما يليها. فهي جميعاً مطلقة لم يقيدها بشيء، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن على الإطلاق وعلى القصر، والتعريف هنا يفيد القصر وعدم التقييد يفيد الإطلاق. كما أن هذه الصفات جاءت معطوفة وفائدة العطف هنا أنه يأتي فيما تباعَد من الصفات؛ لأنه يصير أمراً مستغرباً، أما في الصفات القريبة فلا يؤتى بالعطف مثل: (العزيز الحكيم) فهاتان الصفتان متقاربتان، لكن الأول والآخر منتهى التباعد والظاهر والباطن منتهى التباعد ويحسن الإتيان بالواو بينها. ولما كانت الآية تتحدث عن إحاطة الله بكل شيء من حيث إنه هو(الأول والآخر والظاهر والباطن)، ناسب أن تختم بإحاطة علم الله بكل شيء، فلذلك قال الله تعالى:" وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"؛ لكون الأشياء كلها ظاهرة سواء الباطن منها والظاهر، فهي بالنسبة للخلق باطنة وظاهرة، أما عنده– سبحانه وتعالى– فلا باطن عنده بل هو في غاية الظهور[28]، فعلمه محيط بكل شيء في الكون. ووردت في الآية صيغة (عليم) ولم يقل: (عالم) أو (علّام)، وعليم صيغة

مبالغة على وزن فعيل، وعلاّم أيضاً صيغة مبالغة على وزن فعّال، أما عالم فهو اسم فاعل، ودلالة ذلك أن القرآن الكريم له تخصيصات في الاستعمال أحياناً يخصص بعض المفردات بمعنىً معين واستعمالٍ معين ودلالةٍ معينة بما يدلّ على القصد، وقوله:" وهو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" جملة مكونة من مبتدأ وخبر ووضع بينهما الجار والمجرور" بكل شيء"، وقدم الجار والمجرور؛ لأن الآية في شأن التعليم والتوجيه، ولو كان السياق في تمجيد الله– سبحانه وتعالى– لقيل والله عليم بكل شيء، وقد تعدى الفعل بالباء مع أن(علم) فعل متعد بنفسه، والتعدية تكون باللام لأن أمثلة المبالغة تخالف أفعالها؛ لأنها أشبهت أفعل التفضيل لما فيها من الدلالة على الزيادة فأعطيت حكمه في التعدية[29].

وفي قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"(آية:4)، فقوله تعالى:(الذي خلق السموات والأرض) يدل على أنه المالِك لهما كونه خلقهما، و دلّ قوله: (له ملك السموات والأرض) قبلها وبعدها على أنه هو المالك، و لا يصح لملك أو مالك أن لا يعلم شيئاً فيما يملك، ولذلك لا يخفى عنه شيء في ملكوته. وليس ذلك فقط وإنما هو يُبصر ما فيهما، فهو عليم بصير. والفرق بين (العليم والبصير) أن العليم قد يكون علمه عن طريق الخبر، وليس بالضرورة أن يرى فالمِلك من الناس قد تأتيه الأخبار دون أن يبصر، ولكن ملك الناس والمخلوقات جميعاً ليس فقط يعلم وإنما هو يُبصر أيضاً، و له مرتبة فوق الإبصار وهي المعيّة والمصاحبة (وهو معكم). ولمّا كانت الآية تتحدث عن خلقه للسموات والأرض وعلمه تعالى بما يدخل في الأرض والسموات، وما يخرج منها ناسب أن تختم بعلمه تعالى بأحوال القلوب التي هي محل الأعمال ومصدرها، فهو بصير بما يدخل في هذه القلوب وما يخرج منها وما ينزل فيها من خواطر وما يصعد منها من أعمال إلى السماء[30].

وهنا لمحة بلاغية أخرى، وقد جاءت في قوله تعالى:" وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" وفي آية أخرى من الذكر الحكيم ترد في مثل قوله تعالى:" وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "(الحجرات: 18)، فللتقديم والتأخير لمسة بيانية، وقد جاء لسبب والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور؛ فإذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل، وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام على الله– سبحانه وتعالى– وصفاته يقدّم صفته[31]، والشواهد على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى:" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"(هود:112)، فالكلام في الآية على العمل فقدم العمل على الصفة، ومن أمثلة تقديم العمل على الصفة قوله تعالى:" أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"(سبأ:119)، وقوله تعالى:" اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"(فصلت: 40)، وإذا كان الكلام ليس على العمل أو على الله تعالى تقدمت الصفة على العمل، وشاهده قوله تعالى:" وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ " (البقرة: 96)، فالآية ليس فيها ذكر للعمل ولذلك تقدمت الصفة. أما في قوله تعالى:" يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"(آية: 6)، دلالة على القدرة فقوله: يولج الليل في النهار ويولج النهار

في الليل، و ارتبطت بقوله: وهو على كل شيء قدير في أوائل السورة، فيولج بمعنى يُدخل، والآية فيها أمران: فيها القدرة وفيها العِلم، وقد ارتبطت القدرة بما قبلها في قوله: (وهو على كل شيء قدير)، والعِلم مرتبط أيضاً بما قبلها وما بعدها في قوله: (بكل شيء عليم) و(وهو عليم بذات الصدور)، ومعنى ذات الصدور: أي مكنوناتها وخفاياها التي تلزم الصدور ولا تريد أن تُطلع عليها أحداً، ولمّا أخبر الله عن قدرته بأنه يُدخل في الليل ما يشاء من ساعاته ويخرج منها ما يشاء وكذلك النهار، وهو الإدخال والإخراج المادي، ناسب أن تختم الآية بعلمه تعالى بالدخول والخروج المعنوي لما في الصدور، فكما أن الله يعلم ما يدخل في الليل والنهار وما يخرج منهما كذلك يعلم ما يدخل في الصدور وما يخرج منها من أعمال الخير والشر، فهو محيط بجميع المضمرات التي في صدور الناس، فلا يخفى عليه– سبحانه وتعالى– ما يعلنونه وما يسرونه[32].

وقوله تعالى:" هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ"(آية: 9)، ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله بأنه ينزل على عبده محمد– صلى الله عليه وسلم– آيات القرآن مفصّلات؛ ليخرجكم بالقرآن من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، والله يفصل لكم هذا لرحمته بكم أشد الرحمة، وهنا ناسب المعنى بأن تختم الآية بذكر رحمة الله بعباده، والرؤوف: مبالغة في الاتصاف بالرأفة، ومعناها: كراهية إصابة الغير بما يضره أو يؤذيه، والرحيم: مبالغة في الاتصاف بصفة الرحمة . ومعناه : محبة إيصال الخير والنفع إلى الغير[33]. ودلالة التوكيد بـ(إنّ) و(اللام) بحسب ما يتطلّبه المقام، فأحياناً يكون حال المخاطب خالي الذهن فيأتي الكلام من غير توكيدٍ وأحياناً يجيء مؤكداً بمؤكدٍ واحد أو أكثر. ومثاله قوله تعالى:" وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ" (البقرة: 143) هنا أكّد بـ(اللام)، وفي قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ" (النور:20) لم يؤكّد. ففي الآية الأولى كانوا على طاعة(وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)، ويقولون أن هذه الآية نزلت لما تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فتساءل الصحابة عن الذين ماتوا هل ضاعت صلاتهم؟ وهل ضاعت صلاتنا السابقة؟[34]، فهم قد سألوا عن طاعة كانوا يعملون بها فأكدّ الله تعالى بـ(إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)، أما في الآية الثانية فهم في معصية و(يحبون أن تشيع الفاحشة)، فلا يحتاج السياق إلى توكيد. ولم ترد في القرآن (والله رؤوف رحيم) أبداً بدون توكيد، وإنما وردت مؤكدة بـ (اللام) و(إنّ)، أو بصياغة (رؤوف بالعباد)، ومثاله قوله تعالى:" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ"(البقرة:207).

وفي قوله تعالى:" وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"(آية:10)، ففي هذه الآية يحث الله على الإنفاق بصيغة السؤال: فما الذى يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله. وكأن الآيات تطالبهم بموجبات الإيمان بالله، ويبين لهم أن الله يرث الأرض ومن عليها وإليه المرجع والمآل، إذ يقول تعالى:" لا

يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أ"، وكيف يستوى من أنفق في ساعة العسرة والوقت الذي كان فيه المهاجرون قلة مستضعفة ومطاردين، ينفقون القليل وكل ما يملكون ولا يبغون بذلك سوى الجنة ورضى ربهم، من دون أن تكون لهم منفعة أخرى، وبذلك هم لا يستوون مع من ينفق وهو آمن على دينه وأهله وماله والنصر قريب منهم والغلبة لهم وعدد المسلمين حينئذ كثير، " وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى " وإن تفاوتت الدرجات بينهم؛ فإن الله مطلع على نواياهم خبير ببواطن الأمور، لذلك جعل الأجر الأعلى لأهل السبق في العطاء والبذل، ثم يبين الأجر العظيم والثواب الكبير لمن ينفق في سبيل الله، وذكّرهم بأنهم عندما ينفقوا فإنهم بإنفاقهم لا يتعاملون مع البشر، وإنما يتعاملون مع الله- عزو جل- وهو الذى يرى صنيعهم ويجازيهم أضعاف ما قدموا من أموالهم، ولمّا كانت الآية تتحدث عن درجات المؤمنين، وتفاضلهم في الثواب والدرجة ناسب أن تختم بمتعلق يتعلق بهذا التفاوت، حيث إنه بخبرته- سبحانه وتعالى- تفاوت عنده ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل وثواب من فعلها بعد الفتح، وما ذلك إلا لكمال علمه تعالى بقصد الأول وإخلاصه التام[35]، والخبير: هو الذي أحاط علمه بالظاهر والباطن والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات[36].

وفي قوله تعالى:" الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"(آية: 24). تتكرر في هذه السورة الحث على الإنفاق ولكن الحث هنا في هذه الآية جاء من وجهة أخرى وهى ذم البخل، فمن تعظُم الدنيا في عينه ويعتقد أنه يحصل على شيء منها بكدّه وتعبه فيمسك عن الإنفاق، ولا يؤدى حق الله فيه؛ فإن الله غني عن نفقته، ولا يخفى ما في الجملة من الإشعار بالتهديد لمن تولى، وقوله:" فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" معناه: أَنَّ اللَّه غني فلا يعود ضرر عليه- سبحانه وتعالى- ببخل ذلك البخيل، وقوله:(الْحَمِيدُ) كأنه جواب عن سؤال وهو: إذا كان الله تعالى عالماً بأنه يبخلُ بذلك المال ولا يصرفه إلى وجوه الطَّاعَاتِ، فلم أعطاه ذلك المال؟ فأجاب بأنه تعالى حميد في ذلك الإعطاء، ومستحق للحمد حيث فتح عليه أبواب رحمته ونعمته، فإن قصر العبد في الطاعة فإن وباله عائد عليه[37]. و لمّا كانت الآية تتحدث عن بخل أعداء الله ودعوتهم إلى البخل ناسب أن تختم بذكر أن الله غني عن عباده وعن عبادة كل عابد، وجملة(أن الله هو الغني الحميد) تذييل؛ لأن قوله:(ومن يتولى) يشمل الذين يبخلون وغيرهم، فإن الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، أي في سبيل الله وفي النفقات الواجبة قد تولوا عن أمر الله، و(من) شرطية، وجملة(فإنّ الله هو الغني الحميد) قائمة مقام جواب الشرط؛ لأن مضمونها علة للجواب، والتقدير: ومن يتول فلا يضر الله شيئاً؛ لأنّ الله غني عن مال المتولين؛ ولأنّ عباده يطيعون أمره فهو حميد لهم أي كثير الحمد للمنفقين[38]. ثم تنتقل بنا الآيات للحديث عن وحده الرسالات السماوية إذ يقول تعالى:" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ "(آية: 25)، فالله- عزو جل- يرسل الرسل بالآيات البينات والمعجزات والحجج القاطعة الدالة على صدق ما يقولون، وأنزل مع كل رسول كتابه، والتعبير بـ(الكتاب) وليس (الكتب) دليل على وحدة الرسالة في مصدرها وجوهرها، والميزان

هو العدل الذى تقوم به حياة الناس، والذى من أجله خلقت السموات والأرض بالحق؛ ليقوم الناس به في مجتمعاتهم ،فإذا حكمتم فاحكموا بالعدل، فهو ميزان لا يحابى أحداً ولا تحكمه الأهواء والأمزجة ولا تتحكم فيه المصالح، وأنزل الحديد فيه قوة شديدة ليستخدمه الناس لردع من أبى الحق وينصرون به دينهم، واستعماله في مجاهدة الأعداء فيه ابتلاءٌ للمؤمنين؛ ليعلم الله من ينصر دينه، كما أن فيه منافع للناس في حياتهم اليومية، ثم تختم الآية بذكر أن الله قادر على الانتصار لدينه، وأنه– سبحانه وتعالى– يبتلى عباده بالجهاد والتضحية من أجل الانتصار للحق على الارض[39]. ومن مظاهر المؤاخاة بين المعاني أو التناسب في هذه الآية أنه لما كانت تتحدث عن إعزاز الله لدينه ونصرته، والجهاد ضد من يكذّب بما جاءت به الرسل ويعاديه، فإنما جزاؤه يكون العقاب والعذاب، ولمّا كانت الآية متضمنة لمعنى العذاب ناسب أن تختم الآية بما يحمل هذا المعنى، فقال:" إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ"، فجاءت الفاصلة هنا" اعتراض تذييلي جيء به تحقيقاً للحق، وتنبيهاً على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته في إعلاء كلمته وإظهار دينه إلى نصرتهم، بل إنما هو لينتفعوا به، ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب، وإلا فهو غنيٌّ عنهم في كل ما يريد"[40].

وآخر آية جاءت مختومة بذكر أسماء الله الحسنى في هذه السورة هي قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"(آية: 28)، ففي هذه الآية الكريمة يخاطب الله– سبحانه وتعالى– أهل الكتاب ويأمرهم بتقوى الله ومخافته ولزوم أمره، وأن يؤمنوا بما جاءت به الرسل المتقدمة، وبما أنزل على الرسول –صلى الله عليه وسلم– فيؤتيهم جزاء على ذلك نصيبين من رحمته، ويجعل لهم نوراً يمشون به يوم القيامة، ويغفر لهم ما سلف من الكفر والضلال[41]، وقد ناسب أن تختم الآية بذكر مغفرته ورحمته؛ لأنهما السبب في حصول كل خير ودفع كل شر.

وبعد أن ذكر البحث جميع الآيات التي تختتم بأسماء الله وصفاته في سورة الحديد وما لها من دلالات داخل سياقاتها والتي يتبين من خلالهاَ أن ختم الآيات بالأسماء والصفات له تعلُّق بالأثَر والمعنى، ومن الآثار التي تأتي مع الأسماء والصفات الإلهية في ختم الآيات: الآثار الكونية: ومن ذلك ما يتعلَّقُ بإيجادها وحِفظِها وتصريفها، وكذلك الآثار الشرعية: وهي ما يتعلق بالأحكام وجزاء التكليف الشَّرعي. فختْم الآيات بالأسماء والصفات لمناسبة دلالة الأثر له معانٍ كثيرة منها تعليل الأحكام وتقريرها، وكذلك للترغيب والترهيب والاحتراز. فالتذييل بأسماء الله الحسنى مفردة ومزدوجة أو مقترنة في سورة الحديد وفي غيرها من سور الذكر الحكيم ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة، فيها إحكام دلالي بديع، وذلك لما تدلّ عليه هذه الأسماء الحسان من معان عظيمة، ومجيءُ الأسماء الحسنى في ختام بعض الآيات القرآنية لم يكُن مجيئا عابثاً، وإنما وردت لمعانٍ جليلة وغايات نبيلة، وقد جاءت متناغمة بشكل عجيب مع سياق الآيات الشريفة المختومة بها، فهي تتغير وتتنوع حسبما تحمل من دلالات ومعان وبما يتناسب مع معنى الآية، وما تضمنته من أحكام وتشريعات، فتزيد المعنى وضوحاً وبياناً وتمنح العبارة تأكيداً أو تقريراً. وقد تكون للتنبيه أو التذكير أو وعد أو وعيد أو ترغيب أو ترهيب. ومع وفائها بحق المعنى فإنها تمنح العبارة تناسقاً إيقاعياً جميلاً.

ومن خلال الوقوف على آيات السورة المنتهية بأسماء الله الحسنى وصفاته يتبين أن هذه الأسماء تأتي في مكانها المناسب، ولا تخرج عن أحد الأمور الآتية:

1- التمكين: أن تأتي الأسماء والصفات متمكنة في مكانها، ومنه قوله تعالى:" يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"(آية: 6)، فبعد أن تحدث سبحانه وتعالى عن قدرته في الكون وعلمه بما يحدث فيه، جاءت خاتمة الآية متمكنة في مكانها؛ لتدلّ على علمه كذلك بما في الصدور.

2- التصدير: وهو أن تكون اللفظة التي في خاتمة الآية تقدم ذكرها في بدايتها، ومنه قوله تعالى:" يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (آية:28)، والشاهد في قوله:(رحمته) و(الرحيم).

3- الإيغال: ومنه قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "(آية: 4)، فقوله :(بما تعملون بصير) وردت بعد تمام المعنى الأول وهو إحاطته وعلمه سبحانه بكل ما يحدث في الكون، فجاءت فأضافت دلالة أخرى على السياق زادته وضوحاً وشرحاً وتوكيداً.

4- التوكيد: وهو تمكين الشيء وتقوية أمره، و يُلاحظ على بناء خواتيم الآيات في هذه السورة أن بعض الأسماء والصفات تأتي مؤكدة. مثل قوله تعالى:" وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(آية: 1)، ومنه" وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (آية: 6)، وقوله تعالى:" وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ"(آية:9)، وكذلك قوله تعالى:" فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ "(آية: 24)، و" إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ"(آية: 25). وإخراج الآيات مؤكدة جيء به مراعاة لسياقاتها التي وردت فيها ولمقتضى الحال.

5- التقديم والتأخير: إن التقديم والتأخير في خواتيم آيات سورة الحديد المختومة بالأسماء الحسنى يظهر فيه(تقديم شبه الجملة على المسند)، وقد ذهب كثير من العلماء إلى تعليل التقديم والتأخير لرعاية الفواصل، ولكن ما ذهبوا إليه لم يعد مقبولاً؛ لأن القرآن الكريم جاءت كلماته في مكانها المناسب لتدلل على الإعجاز البياني، يقول الزمخشري:" ولا تحسبن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، كما لا يحسن تخير الألفاظ المؤنقة في السجع السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة فإما أن تهمل المعاني، ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه على بال فليس من البلاغة في فتيل أو نقير"[42] ، وقد تمثل التقديم هنا في هذه السورة بتقديم شبه الجملة على المسند، ومثاله قوله تعالى: " وَهُوَ عَلىُ كُّل شَيءٍ قِديرٌ" و" وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"، وقوله تعالى" وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" و" وإنّ اللهَ بكِم لَرُءوفٌ رحِيمٌ"، وكذلك قوله:" وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ". وعلة التقديم هنا تفيد الاختصاص، أي أن الله وحده هو الذي يختص بقدرته على كل شيء،

والآيات التي تقدم فيها (بما تعملون) كانت تظهر أهمية العمل؛ لأنها كانت تشتمل على أوامر ونواه في أغلبها، وعندما يتقدم المتعلق فيها ففي ذلك إشارة إلى أهمية الأعمال وأنها هي المقصودة في معنى الآية.

ويختم البحث بالقول: إن أسماء الله الحسنى وصفاته جاءت في خواتيم الآيات في سورة الحديد متناسبة مع سياقها، لتدلّ على أمور مختلفة منها: كمال قدرته تعالى وعلمه وعزته ومغفرته ورحمته إلى غير ذلك من صفات الكمال.

الخاتمة:

1- إنّ البحث في تناسب دلالات خواتيم الآيات مع ما قبلها يقوي الإيمان بالله؛ لأنه يزيد التعلق بكتاب الله من خلال تدبره والتفكر فيه.
2- أظهر مصطلح التناسب جانباً بارزاً من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم من حيث دقة النظم، وقوة السبك للألفاظ مع المعاني.
3- إنّ الأسماء الحسنى وردت وفق نسق معين، يتعلق بمعنى الاسم و دلالته.
4- إنّ تدبّر أسماء الله الحسنى في سياقاتها القرآنية مفردة كانت أو مقترنة لها كبيرُ أثرٍ في التعبد لله بهذا الاسم بصورة صحيحة.
5- إنّ لكل اسم من أسماء الله الحسنى معنى خاص يتعلق به، ويزداد هذا المعنى عند تجاور اسمين من أسماء الله الحسنى.
6- اشتمل بناء خواتيم الآيات في سورة الحديد على كثير من الأساليب البلاغية.

التوصيات:

أوصي نفسي و طلاب العلم أن يصرفوا الهمم إلى الدراسات القرآنية في شتى الميادين كلٌ حسب تخصصه ومبلغ علمه، وكما أوصيهم بالعناية بالبلاغة القرآنية في دراسات متنوعة بحيث تبرزها في أبهى صورة. وأن يكملوا المشوار ويقفوا على أسرار تناسب خواتيم الآيات المشتملة على أسماء الله الحسنى مع ما قبلها في باقي سور القرآن الكريم، وكذلك التأمل والتدبر في كتاب الله- سبحانه وتعالى- لبقية الأسماء التي وردت منفردة أو مجتمعه؛ لمعرفة تلك المعاني الجليلة التي حوتها هذه الأسماء، فإن هذا من شأنه أن يزيد الإنسان معرفة بالله سبحانه وتعالى، ومن زادت معرفته بالله سبحانه زادت خشيته، وابتعد عن معصيته واجتهد في طاعته.

الهوامش:

1. القواعد الحسان في تفسير القرآن، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 1999م، ص53.
2. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العلمية، بيروت، ج7، ص356
3. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، بيروت،1995م، ج1،ص49.
4. من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، دار المريخ، الرياض، 1983م، ص43.
5. البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ج1،ص78.
6. أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، ط1،النجف، 1969م، ج1، ص194.
7. الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1978م، ص93.
8. ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2003م، ج4، ص471. .
9. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب "نسب"، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج5، ص423.
10. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، ط2، القاهرة، ص363، 367.
11. ينظر: عرفة، الفصل والوصل، مكتبة الرسالة، القاهرة، ص39.
12. البرهان في علوم القرآن،ج1، ص70.
13. ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2000م،ج11، ص236.
14. ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 2004م، ص681.
15. المجالي، مقابلة وموضوعها "دلالات أسماء الله الحسنى في خواتيم الآيات"، بو دكا ست تدبّر، الموسم الأول، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم،https://www.youtube.com/watch
16. المصدر السابق.
17. ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ج22، ص304.
18. ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984م، ج18 ص381، ج1ص128.
19. ينظر: أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تح: بسام عبدالوهاب الجابي، الجفان والجابي، ط1، قبرص، 1987،ص 63، 105.
20. البقاعي، نظم الدرر ف تناسب الآيات والسور، ج3، ص182.
21. آيات الأحكام: هي الآيات التي تُعْنَى ببيان الأحكام الشرعية والدلالة عليها، سواء أكانت الأحكام اعتقادية أم عملية فرعية أم سلوكية وأخلاقية. ينظر: السفياني، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ص61.
22. ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص168.
23. التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس،1997م، ج28، ص352.
24. المصدر السابق، ج28، ص355- 430.
25. الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج7، ص807.
26. السامرائي، مقال بعنوان "لمسات بيانية في سورة الحديد"، منشور على موقع(تدارس القرآن الكريم)، https://tadars.com
27. الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، دار ابن القيم ط1، الدمام، 1990م، ص12.
28. البغوي، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط4، 1997م،ج8، ص29.
29. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ،ج27،ص166.
30. السعدي، تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1999م، ص937.
31. السامرائي، "لمسات بيانية في سورة الحديد"، منشور على موقع(تدارس القرآن الكريم).
32. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج28، ص121.
33. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص372.
34. السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ج2، ص5.
35. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج8 ص14.
36. ابن القيم الجوزية، شرح أسماء الله الحسنى، تح: محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديدة، القاهرة، 2018م، ص318.
37. الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج29، ص 209.

38. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27 ص141،413.
39. . الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج27 ص189.
40. .أبوالسعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج8 ص212.
41. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28 ص428.
42. ينظر: طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، دار الأرقم، ط1، 1993م، ص5.

ثبت المصادر والمراجع:

الكتب:

1- القرآن الكريم.

2- ابن الأثير: ضياء الدين نصرالله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، بيروت،1995م.

3- ابن أبي الإصبع: عبدالعظيم بن عبدالواحد، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، ط2، القاهرة.

4- الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1415هـ.

5- البغوي: الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط4، 1997م

6- البقاعي: برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984م.

7- أبو حامد الغزالي: محمد بن محمد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تح: بسام عبدالوهاب الجابي، الجفان والجابي، ط1، قبرص.

8- الحكمي: حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، دار ابن القيم ط1، الدمام، 1990م.

9- الخطيب: عبدالكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.

10- الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.

11- السبكي: بهاء الدين أحمد بن علي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2003م.

12- السعدي: عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1999م.

13- السعدي: عبدالرحمن بن ناصر، القواعد الحسان في تفسير القرآن، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 1999م.

14- أبوالسعود: محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
15- السفياني: عابد بن محمد، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.
16- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 2004م
17- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.
18- الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
19- طبق: عبدالجواد محمد، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، دار الأرقم، ط1، 1993م.
20- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984م.
21- عرفه: بسيوني، الفصل والوصل، مكتبة الرسالة، القاهرة.
22- ابن فارس: أحمد ، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
23- الفخر الرازي: محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2000م.
24-ابن القيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بك، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
25- ابن القيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1988م.
26- ابن القيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر، شرح أسماء الله الحسنى، تح: محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديدة، القاهرة، 2018م.
27- ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العلمية، بيروت.
28- لاشين: عبدالفتاح، من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، دار المريخ، الرياض، 1983م.
29- ابن معصوم المدني: علي بن أحمد، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، ط1،النجف، 1969.

المقالات:

30- السامرائي: فاضل صالح، مقال بعنوان "لمسات بيانية في سورة الحديد"، منشور على موقع(تدارس القرآن الكريم)، تمت الزيارة في: 3/ 9/ 2024، https://tadars.com

المقابلات:

31- المجالي: محمد خازر، مقابلة وموضوعها "دلالات أسماء الله الحسنى في خواتيم الآيات"، بودكاست تدبر، الموسم الأول، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، تمّ عرضه للمرّة الأولى في: 2022/06/23، https://www.youtube.com/watch?v=TqgRzVpF1lk .